«الآداب» وآفاق المستقبل(*)

د. سماح ادريس

أُصارحكم بأنّي كنتُ أؤثر أن أبقى في مقعدي، أدوّن ملاحظاتكم وشهاداتكم واعتراضاتكم؛ فأنتم، يا كتّاب **الآداب** القدامى، قد عايشتم مجلّتكم أكثر ممّا عايشتها أنا، وإنْ كانت الثقة الأبويّةُ ـ لا غير ـ قد بَوّأتني منصبَ مدير التّحرير دونكم، وشرّفتني هذه الثقةُ أو أبتلتني بأن أحمل هذه الأمانةَ التي يأبى كثيرٌ منكم أن يحملها جَزَعاً وإشفاقاً. ومع ذلك، فعزائي هو أن تأخذوا، أنتم وصاحب المجلّة ـ أطال الله في عمركم جميعاً ـ بيدي وتقوّموني ـ إنْ شططتُ أو أخطأت ـ بحدِّ ألسنتكم أو تَحدبوا عليَّ بجناح رحمتكم.

أمّا بعد، فإنّ مداخلتي ليست «مانيفستو» لمجلّة آداب جديدة، بل حسبُها أن تكون إطلالةً على مستقبلٍ يبدو في ملامحه الأولى مستقبلاً موحِشاً، يتربّص به الأعداءُ من كلّ صوبٍ، وينفضُّ عنه الحلفاءُ من كلّ ميْل... مستقبلاً فيه كُلُّ مآسي الماضي وكلُّ أوجاع القلوب وأنين الكلمات.

ما مصيرُ جيلي الذي يواجه مستقبلاً يجهد في أن يُدبر عنه؟

فما هو مصيرُ جيلي الجديد الذي يواجه مستقبلاً يجهد في أنْ يُدبر عنه، مستقبلاً تُزيَّفُ فيه من جديد معاني السّلام والحرّيّة والشرعيّة والوطن والعدالة والواقعيّة والموضوعيّة، ويُهْزَأُ فيه على نحوٍ غير مسبوق بتلك العبارة الأثيريّة الأثيرة: «شرف الكلمة»؟

إليكم، يا أصدقاء **الآداب** وروّادها، ملاحظاتٍ أرجو ألاّ تكون متعسِّفة على مسيرة **الآداب** الماضية طوال أربعين عاماً، وعلى مسيرتي في **الآداب** مديراً لتحريرها قرابة ثلاثة أعوام فقط. وإذ أعود القهقرى، فلإيماني بأنّ السّهم لن ينطلق بزخمه المنشود إلاّ إذا أرجعه الرّامي إلى صدره بكلّ ما أوتي من عزيمة.

ولكنْ دعوني قبل أن أشرع بخطّتي أُنهي إليكم خبراً سيّئاً: وهو أنّ **الآداب** لن تعود إلى الحياة كما عرفتموها. تصفّح العددَ الأوّل من عام ١٩٥٧، تطالعْك افتتاحيّة لسهيل ادريس عنوانها «النّصرُ لنا» واسْمَعْهُ يكاد قلبه يطير من بين ضلوعه:

يجب أن نبتهج بالنّصر الّذي تحقّق للعروبة في مصر... ولماذا لا يبتهج العرب بهذا النّصر الّذي لم يعرفوا مثلَه في تاريخهم الحديث؟ لقد تمكّن الاستعمار، طوال عشرات السنين الماضية، من أن يُذلّ أعناق العرب... ولم يكن بين العرب مَنْ يستطيع أن يقاوم أو أن يتحدّى. وأمّا اليوم فقد تحدّى العرب، وقاموا وراء الرئيس جمال عبد النّاصر، وأثبتوا أنّهم ـ عند الاتّحاد ـ أقوى من أنْ يُقْهروا.

ويكتب صلاح عبد الصّبور قصيدةً نابضةً بالأمل والتّحدّي، يهديها إلى جندي غاصب:

سأقتلك/ من قبل أن تقتلني سأقتُلك/ مِن قبل أن تغوص في دمي/ أغوص في دمك/ وليس بيننا سوى السّلاح/ وليحكم السّلاح بيننا

ويوازي شوقي بغدادي بين ربِّ السّماوات وشعب البطولات:

يا ربّ.. إنّ النّاس أيضاً يصنعون المعجزات/ أرأيْتَ ما يجري على شطِّ القناة؟/ أرأيتَ قومي في صراعِهم مع الطغاة/ كيف استحقُّوا أن يعيشوا للسنين المقبلات/ كيف استحقُّوا أن يكون لهم مكانُ النّيّرات!

وفي العدد الأخير من السّنة نفسها يكتب رئيف خوري عن انتصار پورسعيد:

كان انتصارُ پورسعيد أعظمَ وأبعدَ من مجرّد الظّفر بتأميم قناة... كان درساً للمستعمرين أنّ العالم لم يبقَ ميدانهم وحدهم... وكان درساً للسوفيات أيضاً أنّ الأمّة العربيّة ليست لفظاً يُقال ولا هي حرنقة بورجوازيّة لمجرّد أنّها ليست بروليتاريّة ولا شيوعيّة... وكانت درساً للأمّة العربيّة أنّ المستعمرين يمكن هزيمتهم!

أرأيتم إلى ذلك الجيل المتدفّق حماسةً وثقة بالنّفس؟ فجيل الخمسينات والستّينات ذاته كان جيلاً للأمل، يُغني الأدبَ العربي بإنتاج يتراوح بين الإبداع والمباشرة ـ شأنه في ذلك شأن أكثر الأجيال ـ لكنّه في الحالَيْن معاً كان يؤمن بدورٍ للكلمة مستوحًى من حياته المكافحة. مجلّة **الآداب** كانت صدى ذلك الجيل الذي رفع علم العروبة عالياً، وأمّم القناة، ودعم فلسطين، وحرّر الجزائر، وشيّد أوّلَ وحدة بين قطريْن. صحيح أنّه جيلٌ هُزِم وعُذِّب في السّجون، لكنّه كان يخرج من كلّ هزيمة وكأنّها مجرّد نكسة. وحين تضعف ثقةُ ذلك الجيل بعبد النّاصر يستنجد بمعركة الكرامة، وبالمقاومة الفلسطينيّة، ويحافظ على إيمانه بالمستقبل وبالكلمة. فأيُّ إيمان بقي أمام جيلنا نحن بعد «عاصفة الصّحراء»، وبعدما ساق الأقربون قبل الأبعدين القضيّةَ الفلسطينيّةَ والتّضامنَ العربي إلى حافة... المقبرة؟ أيُّ جيلٍ سيكتب **الآداب** بعد اليوم بغياب الأمل واستشراس القمع؟

(*) كلمة أُلقيت في الندوة التي نظّمها الاتّحاد العام للكتّاب العرب في ٢٩ ـ ٣٠ تموز الماضي تكريماً لـ **الآداب**.

ومع ذلك فإنَّ آداب المستقبل ستحمل بصماتٍ واضحةً من آداب الماضي، سأستعرضها معكم في هذه المداخلة، وسأستعرض معكم أيضاً بعضَ التّعديلات الضّروريّة على تلك البصمات، وهي تعديلات تفرضها طبيعةُ التّطوُّر ومستلزماتُ الواقع:

I الالتزام السياسي بالموقف القومي

تَعِدُ مجلّةُ **الآداب** قرّاءها بأنّها ستواصل «تدخُّلها في شؤون العرب الآخرين»، ولن تسكت عن ظلم أو إجحاف يلحقان بالشّعب الأردني أو السوري أو المغربي أو الفلسطيني أو المصري، أو غيرها دون أن تتصدّى لهما بالإمكانيّات المتاحة لها. وفي هذا الصّدد نتذكّر ما كتبه الأستاذ المرحوم محمّد النقّاش في مجلّة **الآداب** (عدد أيار ١٩٥٧) ونتبنّاه أساساً لمفهومنا القومي الرّاهن:

[إنَّ ما يُسمَّى بـ«التّدخُّل في شؤون الآخرين»] دعوةٌ شعوبيّة إقليميّة، لا يمكن أن تُفَسَّرَ إلاَّ على أساس اعتبار الدول العربيّة أجنبيّاً بعضها عن بعض. والحال ليست كذلك في نظر القوميّين العرب. فنحن، القوميّين العرب، نعتبر الأوضاعَ الرّاهنة والحدودَ الحاضرة أوضاعاً مصطنعة وحدوداً مزوَّرَةً تضافَرَتْ عدّةُ عوامل على إقامتها... ومادمنا نعتبر أنفسنا مواطنين عرباً في الدرجة الأولى... فمن قبيل الطّعن في وطنيّتنا والتّجديف على عقيدتنا أن نُطالَبَ بعَدَم التّدخُّل في شؤون قطرٍ عربي لا نعيش فوق أرضه، لأنَّ عدم التّدخُّل يعني عدم الاهتمام واللاّمبالاة بمصيرنا كأمّة. ولو سلكَ كُلٌّ منّا هذه الطريق لما كان لها إلاَّ نتيجةٌ واحدة: تنشيط العناصر الإقليميّة وترك الميدان لها وحدها، وبالتّالي تفكيك العُرى الوثيقة الّتي تجمع العرب حيثما كانوا.

نرفضُ تجزيءَ القضيّة القوميّة ـ وقضيّة فلسطين في قلبها ـ بين «أصحاب قضيّة» و«أنصار لأصحاب القضيّة»!

وهكذا ترون، أيُّها الزملاء الكرام، أنَّ الموقف القومي الشّامل يستدعي اتّخاذَ مواقفَ سياسيّةٍ آنيّةٍ واضحةٍ ومباشرةٍ من كُلِّ مسارٍ من المسارات القطريّة العربيّة: من إدانة حكم نوري السّعيد وعبد الكريم قاسم في العراق إلى شجب الغزو الأمريكي الأخير للخليج العربي. ومن هذا المنطلق دانت **الآداب** بلا لَبْس اتفاقيّة غزّة/أريحا، غير آبهةٍ بأصوات فلسطينيّة تتّهمنا بأنّنا «بتنا ملكيّين أكثرَ من الملك». ذلك أنّنا، أوّلاً، لا نثق بأنَّ غالبيّة الفلسطينيّين قد ارتضتْ بهذه الاتفاقيّة المهينة خطوةً ـ كما زعم البعض ـ على طريق بناء الدولة المستقلّة ولو على مساحة الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة المحتلَّيْن. ونحن، ثانياً، نرفض تجزيء القضيّة القوميّة، وقضيّة فلسطين في قلبها، بين «أنصار» و«مهاجرين»، أو بين «أصحاب قضيّة» و«مساندين لأصحاب القضيّة». فنحن كلّنا أصحابُ القضيّة الفلسطينيّة، وقدَّمْنا كراماتنا ودمَنا وأموالَنا وأعصابَنا فدًى لفلسطين على قدم المساواة مع «أصحاب القضيّة». وكان بعضُ دعاةِ التّفريط يهلّلون لنا حين كنّا نشاركهم القضيّة أوّلاً بأوّل، وقطرة دم بعد قطرة دم. فلماذا تراهم اليوم يناشدوننا أن نتخلّى عن دور الشّريك، لننكفئ إلى دورِ المسانِد والمطبِّل لأوهامهم «التكتيكيّة» المخادِعة والمخدوعة في آنٍ؟.

غير أنَّ الإنصاف يقتضي الاعتراف بأنَّ مسيرة **الآداب** القوميّة قد اعترتها بعضُ المزالق الملازمة لأيّ مسيرة طويلة وشاقّة، ونحن اليوم نسترجع هذه المزالق لكي لا نقع فيها مجدَّداً:

(أ) العاطفيّة القوميّة الجامحة. فرئيس تحرير **الآداب** مثلاً أصرَّ في العدد الثالث لعام ١٩٥٩ من المجلّة على أنَّ وحدة مصر وسوريا لم تحتج إلى وقت، بل إنَّ تأخير إعلانها كان سيضرّ بالوحدة؛ وذهب إلى اعتبار كُلِّ من يدعو إلى تأخيرها «مأجوراً أو دخيلاً». ثمّ وقع الانفصالُ. فكتب عبد الله عبد الدائم مقالاً يبيّن فيه نقائصَ القوانين الاشتراكيّة التي فُرِضَتْ على سوريا.. وكان قد كتب **قبل** الانفصال مقالةً تنسجم انسجاماً واضحاً مع أفكاره في المقالة الأخيرة، وعنوانها «الديموقراطيّة وسيلة لتحقيق القوميّة العربيّة». ومع ذلك، وبالرّغم من أنَّ د. عبد الدائم قد كان ركناً أساسيّاً من أركان مجلّة **الآداب**، فإنَّ رئيس التّحرير نشر مقالته الثانية عقب الانفصال مقدِّماً لها بالكلمات التالية:

إنَّ «الآداب» لا تنشرها إيماناً بما جاء فيها، وإنّما لتطلبَ إلى المتخصّصين والعلماء [وكأنَّ عبد الدائم ليس من هؤلاء ولا أولئك] بحثَ هذا الموضوع ومناقشته بطريقة علميّة مُرضية تبلور الحقيقة [[وكأنَّ مقالة عبد الدائم غير علميّة ولا تبلور الحقيقة!]

وممّا يلاحظ أيضاً أنَّ مقالة عبد الدائم هذه لم تتبَوَّأْ، كما هي عادةُ مقالاته، الصفحةَ الأولى من عدد **الآداب** ذاك. وهكذا «عُوقِب» عبد الدائم لأنَّه قال إنَّه لا يجوز تطبيق تجربة اشتراكيّة باستبعاد التجارب الاشتراكيّة في العالم واستبعاد التنظيمات العمّاليّة والشّعبيّة والاعتماد على الدولة البيروقراطيّة وحدها، ولأنَّه وصف الطبقة البيروقراطيّة التي طبّقت القوانين الاشتراكيّة في دولة الوحدة بأنّها طبقةُ أناسٍ «لا يملكون من الكفاءة غيرَ ولائهم للعهد»، ولأنَّه ـ أخيراً ـ حثَّ على اعتماد مرحلة انتقاليّة طويلة يقوم فيها ضربٌ من الاقتصاد **المختلط** (رأسمالي خاصّ، جنباً إلى جنب مع قطاع اشتراكي عامّ آخذ بالاتّساع) تُعَوَّضُ

بموجبه أيضاً المؤسّساتُ الرأسماليّة التي جرى تأميمها عن جزءٍ ممّا فَقَدَتْه.

(ب) التعصُّب الشوفيني العرقي. تشهد مجلّة الآداب، في أكثر مواقفها القوميّة تجذّراً، على وعي منفتح على الحضارات الأخرى. لكنّها، في غمرة فوْرتها القوميّة وتأجّجها الوحدويّ، تبنّتْ بعض المواقف العنصريّة التي نعيبها عليها اليوم. ففي العدد الرابع من سنة ١٩٥٨، مثلاً، نشرتِ الآدابُ في صفحتها الأولى قصيدةً للشّاعر العربي الكبير نزار قبّاني بعنوان «جميلة بوحيْرد» يقابل فيها بين المناضلة الجزائريّة الشّهيدة ونساء فرنسا، فيقول: «لم تعرفْ كنساء فرنسا/ أقبية اللذّة في «بيغال!»»

أنا لا آخذ على د. سهيل ادريس نشرَه لهذه القصيدة، ولاسيّما حين تكون لشاعر كبير يتحمَّلُ بنفسه مسؤوليّة ما يكتب. ولكنّي آخُذُ عليه أنّه نشرها افتتاحيّةً لعدده، وهو الأمر الذي يوهم بأنّه قد تبنّاها بكلّ ما فيها، وإلاّ لكان علّق في حاشيتها أو في مقدّمتها ـ كما كان دأبُه دوماً ـ بما يفيد أنّهُ يعارض الشّاعرَ في موقف مّا. وصحيحٌ أنَّ وَصْمَ العدو بالعُهْر، كان ـ ومايزال مع الأسف ـ ظاهرةً منتشرة في أدبنا العربي الذكوريّ(*)؛ ولكنْ أنْ تتصدَّر الآدابَ قصيدةٌ تحمل نزعة عنصريّة، فهو أمرٌ لا ينبغي أن نقبل به ولاسيّما حين نتذكّر احتفاءَ رئيس تحريرها بسيمون دوبوڤوار وفرانسواز ساغان

من عيوب «الآداب» أنّها تغاضتْ عن مبدإِ حرّيّة التّعبير للمثقّف في مصر النّاصريّة؛ واسترسلتْ في عاطفيّتها القوميّة الجامحة!

وغيرهما من «نساءِ فرنسا»، وحين نتذكَّر أنَّ رجاء النّقّاش ـ وهو واحدٌ من أعمدة الآداب ـ قد وصف القوميّة العربيّة بأنّها «قوميّة إنسانيّة... تتعاون مع القوميّات الأخرى بصدرٍ واسعٍ مُسامِح» (الآداب ٨/ ٦٠). وتبعاً لما تقدَّم، فإنَّ افتتاحيّات الآداب في المستقبل تطمح في أن تعبِّر عن موقف هيئة تحريرها، لا عن مواقف غيرِها أيّاً تكن رفعةُ شأنهم الأدبيّ.

(ج) في غمرة حماس مجلّة الآداب للوحدة العربيّة، تغاضتْ أحياناً قليلة عن مبدأ الحرّيّة الذي دافع عنه د. سهيل ادريس عقوداً طويلة. فمراسل الآداب في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة الصّديق رجاء النّقّاش دافع، مثلاً، عن إلغاء الأحزاب في مصر لأنَّ مثل هذه الأحزاب «سوف تفرِّق جبهتنا الوطنيّة». وفي المقالة نفسها (الآداب ٧/ ٥٧) يؤكّد الأستاذ النّقّاش أنّ ديموقراطيّة النظام الجديد «لا تعني إتاحة الحرّيّة المطلقة للاتّجاهات الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة حتّى ما لا يصلح منها لمرحلتنا الرّاهنة، مثل الأفكار الدينيّة والاقتصاد الحرّ». ثمّ يدعو إلى تأميم أخبار اليوم بسبب تاريخها المعادي لمصر، وحرصها على هذا التاريخ؛ ومثالُه على هذا الحرص أنَّ الجريدة نشرتْ في صدر صفحتها الأولى أخباراً «تافهة عاديّة» يوم ٦ مايو ٥٧ بدلاً من أن تنشر أخبارَ الانتخابات التكميليّة في سوريا.

وبدهيٌّ أنَّ من التعسُّف اليوم أن نناقش الأستاذ رجاء بمقالةٍ كتبها قبل حوالي أربعين عاماً؛ بل من الإنصاف القول مع خالد محيي الدين: «إنّنا بغضِّ النَّظر عن تقييمنا لموقف عبد النّاصر من الديموقراطيّة لا نستطيع أن ننكر أنَّ الشعب بغالبيّته العظمى قد ساند عبد النّاصر ومنجزاته، ولم يتوقّف كثيراً ـ لفترة معيَّنةٍ على الأقلّ ـ عند مسألة الديموقراطيّة» (والآن أتكلّم، الأهرام، ١٩٩٢، ص ٣٢٦). غير أنَّ من المطلوب اليوم أن نرفع الصوتَ عالياً ضدّ كلّ من يكبِّل حرّيّاتنا لأيِّ سببٍ كان. وإنَّ المرء ليتساءل: تُرى مَنْ يحدِّد «ما لا يصلح» من أفكارٍ لمرحلتنا الرّاهنة: هل هو النظام؟ هل هم «العمّال» و«الفلاّحون»؟ هل هم «المثقّفون الثوريّون»؟ إنَّ منطق «المرحلة الرّاهنة» هذا منطقٌ خطير، يتوجَّب علينا اليومَ أن نفنِّده بكلِّ ما أُوتينا من قوّة. فَمَنْ يضمن لنا أنَّ الأنظمة العربيّة اليوم لن تلغي أصواتنا بحججٍ جديدة شبيهة بمنطق «المرحلة الرّاهنة»، من مثل حجّة: «ضرورات السّلام مع إسرائيل»، أو «لا صوت يعلو فوق صوت التّطبيع»، أو «لا هدف يسمو عن بناء الحلف مع كلّ الأديان الإبراهيميّة»؟

وفي هذا الصّدد لا يسع قارئ مجلّة الآداب إلاّ أن يأسى لعدم دفاع هذه المجلّة ورئيسها بالذات عن المثقّفين الذين اعتُقِلوا في مصر أثناء حكم الرئيس الوطني الكبير جمال عبد النّاصر. ليس ثمّة ما يبرِّر أن يسكت مثقّفٌ مشهورٌ بديموقراطيّته ودفاعه عن حرّيّة التّعبير عن سجن وتعذيب محمود أمين العالم وغالب هلسا وصبري حافظ وعبد الحكيم قاسم وسامي خشبة ونجيب سرور وابراهيم فتحي وصلاح عيسى وشوقي خميس

(*) نشرت الآداب في العدد نفسه قصيدةً للمرحوم شفيق الكمالي يقول فيها عن جميلة:

جميلة يهابُها الرِّجال/ أبناءُ ماريانا/ من كلِّ وَغدٍ أمُّهُ في «السِّين» محظيَّةٌ/ وافتهُ على فراشِ العُهْرِ مَرْميَّةْ!

وخليل كلفت والعشرات الآخرين من أعمدة مجلّة **الآداب**. ليس ثمّة ما يبرّر أن تنشر **الآداب** مقالاتٍ لمطاع صفدي يتحدَّث فيها عن التعذيب البعثي في «المزّة» في الستّينات (**الآداب** ٦/ ٦٤)، وتنشر لجميل كاظم المناف مقالةً يتحدَّث فيها عن التعذيب البعثي في العراق (**الآداب** ٧/ ٦٤)، ثمّ لا تنشر شيئاً عمّا اقترفه الصول مطاوع وزكريّا محيي الدين وغيرُهما في سجون النظام الوطني النّاصري! ولقد سرّني أن أعلم أنَّ سهيل ادريس أقرَّ بخطئه الفادح في مؤتمر للأدباء في المغرب منذ خمسة أعوام... وأمام محمود أمين العالم بالذات!

إنَّ آداب المستقبل مدعوّةٌ إلى إعلاء صوت المثقّفين وإلى الدفاع عن حرّيّة تعبيرهم أيّاً تكن آراؤهم. فسواء وافقنا أو عارضنا فخامة الرئيس، أو سيادة الزعيم الأوحد، أو جلالة الملك، أو خادم الحرميْن، أو حضرة الأخ العقيد، أو الأخ القائد العامّ، أو... فإنَّ من واجبنا في آداب المستقبل أن نحمي حرّيّةَ أخينا المثقّف في أن يعارض هؤلاء أو يوافقهم. إنَّ قدراً عالياً من المثاليّة والتكاتف «المهني» مطلوبٌ اليوم أكثر من أيّ وقتٍ مضى!

II الآداب وقصيدة النّثر

لا يخفى عليكم أنَّ مجلّة **الآداب**، ولاسيّما على لسان رئيسها وعلى ألسنة خليل حاوي وحجازي وعبد الصبور ونازك، قد حاربت قصيدة النّثر. وهاكم ما قالته نازك في هذه «القصيدة»:

هؤلاء [أي كتّاب «قصيدة النّثر»] لا يحترمون النّثر... يُحسّون أنّهم مهما أبدعوا من صورٍ وأفكار في قالب نثري، فإنّهم مازالوا أقلّ إبداعاً من شاعرٍ يخلق هذا الجمالَ نفسَه ولكنْ بكلام موزون... إنَّ دواء هذا الإشكال هو أن يمتلك هؤلاء الكتّاب الثّقةَ بالنّثر... ثمّ إنّهم لا يؤمنون بوجود صلةٍ بين الوزن والشّعر... ونحن نسألهم: لماذا إذن ميَّزَتْ لغاتُ العالم كلُّها بين الشّعر والنّثر؟ وما الفرق بين الشّعر والنّثر إنْ لم يكن الوزن هو العنصر المميّز؟ (**الآداب** ٤/ ٦١).

وعاب خليل حاوي على كتّاب هذه القصيدة أنّهم تنكّروا للّغة العربيّة من حيث هي لغةٌ تحمل حضارةً خاصّة، واكتفوا بها أداةً مجرَّدةً للتّعبير، فكان أن «امتصّهم الأدبُ الغربيُّ ومسخ معالم شخصيّتهم»... فجاء تجديدُهم بدون أصالة ذاتيّة، أشبه ما يكون «بالتقليد الأعمى».

وأمّا سهيل إدريس فقد بدا مع مرور الوقت أنَّ اعتراضَه الأساسي في موضوعة قصيدة النّثر ينصبّ على تسميتها بالدرجة الأولى. ولذلك فهو ما أنفكَّ يعلن في الأحاديث والمجالس الخاصّة أنّه سينشر أيّة قصيدةِ نثر شريطة ألّايسمّيها كذلك؛ حسبُها أن تكون ـ على نحو ما أكّد مراراً وتكراراً ـ نصّاً شاعريّاً جميلاً. وهو يجزم أنَّ **الآداب** كانت أوّل مَنْ نشر نصوصاً شاعريّة لجبرا إبراهيم جبرا ومحمد الماغوط، لكنّه ـ أي ادريس ـ لم يسمّها يوماً «قصائد».

غير أنّك حين تسأل سهيل ادريس: متى كان آخرُ «نصٍّ شاعريّ» نشرتَه في **الآداب**، يجيبك: «السنة الفائتة نشرتُ نصّاً للمغربيّة وفاء العمراني». فإذا استزدته قال لك: وفاء العمراني! وبلغ بأحد الخبثاء يوماً أنْ سأله: «هل نشرتَ لوفاء العمراني لأنَّ نصَّها جميل، أم لأنّها هي الجميلة»؟ فأجابه، والضحكة تتفجَّر من وجهه: «الاثنين سوا»! وذات يوم سألتُه: «متى أُرسِل آخرُ نصٍّ شاعريّ إليك»؟ فأجابني: «منذ مدّة طويلة». فحدست ـ ولعلّكم تشاركونني حدسي هذا ـ أنَّ كتّاب النصوص الشّاعريّة أو قصائد النّثر باتوا يهابونه، فيحجمون عن إرسال أعمالهم إليه مخافةَ أن يُصابوا بالخيبة.

يجب أن نفسح المجال أمام الحالات المتميِّزة من كتّاب قصيدة النّثر!

ويُخيَّل إليَّ أنَّ على آداب المستقبل أن تتخفَّفَ من تزمُّتها قليلاً حيال قصيدة النّثر الجيِّدة. صحيح أنَّ عدداً كبيراً من قصائد النّثر المنشورة اليوم هابطةٌ فنّيّاً، غير أنَّ ذلك لا يمنع أن نفسحَ المجال أمام الحالات المتميِّزة من كتّاب هذه القصائد، لأنَّ في ذلك توسيعاً من آفاقِ الإبداع سواء سمَّينا هذا الإبداع شعراً أم نثراً أم غيرَ ذلك. وأتمنّى أن يوافق صاحبُ **الآداب** على اقتراحي هذا، وأضمُّ بالمناسبة صوتي إلى صوت الشّاعر شوقي بزيع الذي دعا **الآداب** إلى أن تنقل السِّجال حولَ قصيدة النّثر إلى داخل صفحاتها بالذات، فتكون «مرآة عصرها»، بدل أن يتحوَّل هذا السِّجال «إلى نوعٍ من حرب المواقع بينها وبين غيرها من المجلّات» (**الآداب** ١٢/ ٩٣)(*).

(*) غير أنّي أخالفُ صديقي بزيع في نقطة لابدّ من ذكرها هنا: وهي أنَّ محور خلاف **الآداب** مع المجلّات الأخرى في السّابق لم يكن قصيدة النّثر، بل كان يتمحور بشكل أساسي حول سياسة هذه المجلّات المناهضة للعروبة، وارتباط بعضها بالأجهزة الغربيّة (كمؤسّسة فرانكلين، والمنظّمة العالميّة لحرّيّة الثقافة، والمركز الثقافي البريطاني، والسفارة الفرنسيّة). وأنا أؤمن إيماناً عميقاً بأنَّ تجذير الخلاف، لا إدامته فحسب، مع أيّة مجلّة أدبيّة مرتبطة بمثل هذه الأجهزة، أمرٌ ضروريٌّ للحياة وللفكر... وللأدب العربي نفسه.

III «آداب» المستقبل والأبواب الثابتة

في العدد الثاني من **الآداب** لعام ١٩٥٧ وعد سهيل إدريس القرّاء بمسرحيّة كلّ شهر، وبمتابعة الأحداث السياسيّة كلّ شهر، وببحث فلسفيّ وتاريخيّ وموسيقيّ وفنّيّ كلّ شهر... بل وعد أن يولي عنايةً خاصّة بالتّصوير والسينما والغناء و... الرّقص! وقد علّق د. عزّت النصّ ـ بلباقة ـ على أحلام د. إدريس في العدد الذي تلاه، فقال:

يغلب على الظنّ أنّ صاحب «الآداب» عمد إلى نوع من المخادعة اللّبقة [أيّهما أشدّ لباقةً يا ترى إدريس أم النصّ؟] عندما أعلن أنّ المجلّة ستزدان بألوانٍ جديدةٍ عَدَّدَها، وهو في الواقع يطمع في أن يجدِّد من انتباه القارئ والمؤلِّف على السواء إلى جملةٍ من المعارفِ المساعِدة... لا يسمو الأدبُ ويغتني إلاّ بها (الآداب ٣/ ٥٧).

العبدُ الفقير الذي أمامكم لا يستطيع أن يَعِدَ بكثيرٍ ممّا وعد به إدريس، ولاسيّما حين اكتشفتُ أنّ بعض الأبواب «الثابتة» التي وعد بها قرّاءه لم تَرَ النّور... إلاّ في العدد الذي نَثَر فيه وعودَه! وأيّاً يكن الأمر، فأنا أرى أن لا طاقةَ لـ **الآداب** بأبحاث اقتصاديّة مختصّة أو حتّى بأبحاث في الرّقص والموسيقى، وليست هي المكان الأنسب لمثل هذه الأبحاث أصلاً، مع إيماني التامّ بأنّ المجال الاقتصادي ومجال السينما ومجال الرسم التشكيلي قد أضحت ممّا لا يمكن الاستغناء عنه في كتابة العملين الأدبي أو السياسي نفسيهما.

تعالوْا إذن نُلقِ نظرةً على بعض الأبواب الثابتة أو شبه الثابتة في المجلّة، لنرى ما يمكن إبقاؤه، وما يجب تعديلُه، وما يجدر بنا أن نلغيَه دون أسفٍ كبير:

(أ) فأمّا باب ترجمات المسرحيّات والقصص والقصائد والأبحاث الأجنبيّة، فهو بابٌ ممتاز نفتقده اليوم في مجلّة **الآداب**، وأتحمّل المسؤوليّة الكاملة عن هذا التقصير الفادح. فعلى امتداد الشّهور الثلاثين التي أدرتُ فيها المجلّة، لم أُترجم إلاّ **المفكّرة الحمراء** لپول أوستر، ونشرتُ قصائدَ مترجَمة لأريش فريد، وقصّة واحدة لكلاريس ليسبكتور. وأمّا **الآداب** الستّينيّة والخمسينيّة فقد حفلتْ بمسرحيّات لسارتر وپيرندلّو، وبقصص وأبحاث لكامو وفانون وتشيخوف وساغان ودوبوڤوار وغيرهم. وعزائي الكبير في هذا المجال أنّي أصدرتُ ملفّاً خاصّاً بالمفكّر التقدُّمي الأمريكي نعوم تشومسكي قال عنه د. فيصل درّاج إنّه ـ رغم صفحاته المحدودة ـ «يشكّل أوّل محاولة عربيّة جادّة للتعريف بهذا الديموقراطي الأمريكي الكبير». ثمّ أصدرتُ مؤخّراً عدداً خاصّاً بالمفكّر الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد، يتضمّن ثلاثةَ أبحاث ومقابلةً جميعُها مترجَم. وأُعدُّ اليوم ملفّاً خاصّاً بالمفكّر الأمريكي الزّنجي الماركسي المسيحي «كورنلّ وَسْت» الذي يشكّل وجهاً مميَّزاً من وجوه الثقافة الأمريكيّة الاعتراضيّة المعاصرة. لكنّ النّقص يبقى جليّاً في ميدان الأدب الإبداعي المترجم، كما أسلفت. ولعلّ حرصي على أن أُبقي المجلّة مرصودةً بشكل أساسي للإبداع العربي، ثمّ ثقتي بأنّ دار الآداب غير مقصِّرة في مجال تعريب الإبداع الغربي، دفعاني إلى عدم إيلاء الإبداع الغربي ما يستحقّه من عناية.

(ب) وأمّا باب «الإنتاج الثقافي في الغرب» و«باب الإنتاج الثقافي في الوطن العربي» فبابان شديدا الخطورة، غاب أوّلهما غياباً تامّاً عن **الآداب** منذ أكثر من عشر سنوات، وتعثّر البابُ الثاني تعثُّراً ملحوظاً حتّى ساعة كتابة هذه المداخلة. ولكنّنا نعتزم إعادَتهما إلى النُّور في أقرب فرصةٍ ممكنة، وأتوجّه بالمناسبة إلى كلّ قرّاء **الآداب** وكتّابها أن يسهموا في ذلك، تحقيقاً لمبدإ التكامل الثقافي العربي وتمشّياً مع المفهوم الحقيقي لعمليّة التّثاقف الحضاري.

(ج) باب الاستفتاءات. وهذا باب أدّى دوراً كبيراً في السنوات الأولى لانطلاقة **الآداب**. غير أنّه يبدو لي، اليوم، قليل الفائدة، وأقترحُ الاستعاضةَ عنه بندوةٍ فكريّة تتناول موضوعاً أو كتاباً معيَّناً، وذلك للأسباب التالية:

١) طبيعة الاستفتاء طبيعةٌ واحِديّة في الغالب، ونبرتُها نبرةٌ خطابيّة أحياناً... بخلاف النّدوة ولاسيّما حين يديرها محاورٌ ذكيّ؛ فالنّدوة أكثر تلاؤماً مع طبيعة المثقّف الجادّ الذي يأبى الأحكامَ القاطعة ويبقى على استعدادٍ دائم لتعديل بعض مواقفه إذا أقنَعَهُ جليسُه المثقّف بذلك.

٢) المستفتون، في غالب الأحيان، يكرِّرون أقوال المستفتين الآخرين.

٣) الصفحات «الثقافيّة» في الجرائد اليوميّة باتت اليوم تُغنينا عن تضمين مجلّاتنا الأدبيّة أيّ استفتاء. ذلك أنّه لم يبقَ موضوعٌ في الكرة الأرضيّة إلاّ واستُفتي فيه على هذه الصفحات. وغنيٌّ عن البيان أنّ كثيراً من مراسلي الصفحات الثقافيّة اليوميّة يبحثون عن أخبارٍ وآراءٍ ثقافيّة سريعة تتعلّق بما يزعمون أنّه يشكّل «مروحة» ثقافيّة لا يكلِّفُهم تأمينُها جهداً عظيماً!

(د) باب «قرأتُ العدد الماضي من الآداب». وهذا أخطر أبواب مجلّة **الآداب** على الإطلاق وأكثرها تميّزاً، ومردّ ذلك الخطر وهذا التميّز يعود إلى الأسباب التالية:

أ ـ أنّه أتاح المجال واسعاً لحركة نقاش نقديّة جادّة لم نجدْها في أيّ بابٍ آخر من أيّة مجلّة أخرى. حتّى ذهبت الشّاعرة والنّاقدة الكبيرة نازك الملائكة ـ شفاها الله وأعادَها إلى دنيا الإبداع وألحَقَ الخزيَ والعار بأدعياء الإنسانيّة والشرعيّة الدوليّة ـ إلى القول: «من الممكن أن نعتمد على هذا الباب كميدانٍ نوطّد فيه دعائمَ النّقد العربي وأسسَه الفنّيّة التقييميّة التي نتوق إلى توطيدها» (**الآداب** ٤/ ٥٩). وقالت الشّاعرة والنّاقدة سلمى الخضرا الجيوسي إنّه «كان ملتقًى مستمرّاً لأفكار الكتّاب والقرّاء حول قضايا الأدب والفكر العربي إجمالاً» (**الآداب** ٦/ ٥٩). وقد استدعى هذا الباب فتح بابيْن آخريْن لم يكن حظُّهما من الخطورة بأقلَّ من حظّ الباب الأوّل، وهما بابا «مناقشات» و«صندوق البريد»(*).

وفي هذا الباب تعلّمنا مثلاً أن ننقد «المباشرة» في الكتابة الأدبيّة؛ صحيح أنّ طه حسين ورئيف خوري مثلاً لم يستخدما مصطلحات «الانزياح» و«الانعكاس الميكانيكي» و«الأدلوجة» التي نستخدمها اليوم، ولكنّهما ـ شأن أكثر نقّاد هذا الباب ـ كانا واعييْن لضرورة وضع مسافة بين الواقع والإبداع. وفي هذا الباب تعلّمنا أين نخطئ في العروض وفي اللُّغة، وأين يغلبُ جانبُ الإثارة عندنا على جانب التأثير.

ب ـ أنّ هذا الباب أضفى على مجلّة **الآداب** شيئاً من المرح والحياة. قال لي صديقي إلياس خوري أمس: «**الآداب** لا تسلّي أبداً»، وكتب الأستاذ المرحوم محمّد النّقّاش في العدد السادس من **الآداب** لعام ١٩٥٤ وفي هذا الباب بالذات، ما يلي:

ما ينقص «الآداب» هو بعض النوادر والنكات. فلقد قرأتُ العدد الماضي من الدَّفَّة إلى الدَّفَّة، فأثار فيَّ ألواناً شتّى من العواطف تتراوح بين القلق والذّعر والحزن، وبين الرضى والاطمئنان والفرح... لكنّي لا أذكر أنّ شفتيَّ انفرجتا عن ضحكةٍ بله عن ابتسامة. وهذا كثير!

وليس المقصود طبعاً جانب التسلية السطحيّة، وإنّما الابتعاد

سيُعاد باب «قرأتُ العدد الماضي من الآداب» بصيغةٍ أخرى.

بـ **الآداب**، ومن خلال هذا الباب بالذات، عن الأكاديميّة المترصّنة والمقطّبة.

ج ـ أنّ الصيغ الثلاث التي نتجت عن باب قرأتُ العدد الماضي ـ وقد ذكرنا اثنتيْن منها، ثمّ أضافت نازك الملائكة إليهما صيغة ثالثة أسمتها «منبر النقد» ـ أقول: إنّ هذه الصيغ الثلاث كانت عظيمة الفائدة **للنّاقد** هذه المرّة. وهنا لا بدّ من الإطلالة على «منبر النقد» الذي لم يرَ النُّور إلاّ على صفحات أعدادٍ من **الآداب** معدودة، ولكنّه يبقى أعظم باب أنتجتْه موهبةُ ناقدةٍ أدبيّة عربيّة في عصرنا الرّاهن. فقد لاحظتْ نازك أنّ النّاقد في «قرأت العدد الماضي» يُخضع الشّاعر المنقود «للقيود والقوانين والنّماذج بينما يبقى هو حرّاً». ورأت أنّ النّاقد العربي ـ خلافاً لكلّ منطق ـ «يعتقد أنّ من حقّه أن يحاسِب ولا يُحاسَب». فكان هدفها من فتح «منبر النّقد» استكمالَ النّقص في باب «قرأتُ العدد الماضي»، من أجل أن نخطّ «طريقاً موضوعيّاً للنّقد العربي يُحَدِّد فيه [ناقدُ الباب الجديد] المعالم ويستخلص **الأسسَ العامّة** للنّقد دون أن يبدِّد مجهوداتِه في مناقشاتٍ لا تتعلّق بالصدد العام» (**الآداب**، ٤/ ٥٩).

لكنّي، بعد كلّ ما قدّمته في الفقرات السّابقة، أجد نفسي من جديد متحيِّراً من إعادة هذا الباب إلى الحياة. وتعود حيرتي إلى الأسباب التالية:

١ ـ حَفَلَ هذا الباب، على أهمّيّته التي تحدّثنا عنها سابقاً، بالتهجُّم الشخصيّ، والهُزء منَ «الخَصْم»، والدفاع عن الذّات، واللُّؤم. ولم يسلم من ظاهرة الهزءِ ناقدٌ كبيرٌ هو أستاذي الدكتور إحسان عبّاس الذي عاب، ذات مرّة، عليه المرحوم تيسير سبول أنّه سخر من نتاج الشعراء في هذا الباب وانتقَص من كراماتهم وذلك حين قال [أي الدكتور عبّاس]: «كان الله في عون هذا الشّاعر»، و«أسفاً على شباب» ذاك الشّاعر، و«العياذُ بالله من شعر فلان»، و«حفظ الله الشعراء ولا أكْثَرَ منهم»! (**الآداب** ٨/ ٦٠).

(*) وقد وصف صلاح كامل هذا اللولبَ النقديّ المثلّث بالكلمات الطريفة التالية: «كتّاب **الآداب** مساكين مرّتين: مرّةً عندما يحكّ صاحبُ **الآداب** نتاجَهم بمحكّ مفاهيمه الأدبيّة ومقاييسه النقديّة القاسية التي تأبى على غير الأثر المعافى دخولَ ملكوتِ **الآداب**؛ ومرّةً عندما يَضَعُ مصيرَ تقييم نتاجهم بين أيدي قرّاء «قرأتُ العدد الماضي». وقرّاءُ «قرأتُ العدد الماضي» أو نقّادُه مساكين مرّتين: مرّةً عندما يُطْلقُ صاحبُ **الآداب** الحرّيّةَ لكاتب العدد الماضي بنقد النّقد في باب «مناقشات» وباب «صندوق البريد»؛ ومرّةً عندما يُفرد الصفحة بعد الصفحة في **الآداب** لرسْم مخطّطات للنّقد ووضع مقاييس للقصّة والشّعر والبحث تقوم على أساس النّقد وتغمز ـ بطريقةٍ غير مباشرة ـ من نقد النقّاد. ففي كلّ جزءٍ من أجزاء **الآداب** ملحمة... حتّى إنّ الكتّاب ليدفعون بنتاجهم إلى **الآداب** وعينُهم على باب «قرأتُ العدد الماضي»، والنقّاد يدفعون بنقدهم وعينُهم على باب «مناقشات» وباب«صندوق البريد». وصاحب **الآداب**، كبيلاطس النبطي، يغسل يديْه من دمِ الصّديق!» (**الآداب** ٧/ ٥٧).

٢ ـ لقد باتَ من المستحيل أن نعثر على ثلاثةِ نقّاد مختصّين كُلَّ شهر: ناقد مختصّ في الأبحاث، وآخر في الشِّعر، وثالث في القصص. كما أنَّ الباب وُضِعَ أحياناً ـ حسب نازك ـ في «أيدي شعراء لم يمارسوا النقد قطّ. وكانت النتيجة الحتميّة لهذا أنَّ طائفة من مقالات الباب لم تزدْ عن أن تكون تعليقات عابرة ممتعة تتناول بعض لفتات القصيدة [أو البحث] تناولاً عابراً» (**الآداب** ٤/ ٥٩). زدْ على ذلك أنَّ هيئة تحرير **الآداب** قد قصَّرتْ في التمييز بين مجالات النَّقد داخل مجال نقد الأبحاث بذاته؛ فإذا بالباحث الأدبي ينقد أبحاثاً في القصّة والشِّعر والسياسة والاقتصاد والمسرح؛ ولعلَّ مثل هذا التّقصير هو الذي أدَّى إلى أن نسمع أحد النقّاد المكلَّفين يقول في نَقْدِ أحدِ الأبحاث المنشورة:

سأمرُّ سريعاً بهذا المقال؛ ذلك أنَّ نقده والتحقيق فيه ليسا من شأني. ومع ذلك فإنَّه يطيب لي أن أزجي إلى صاحبة هذا المقال كُلَّ عواطفِ الإعجاب والتقدير. ذلك أنَّ في أسلوبها مرونةً قويّة، وفي تحليلاتها الأدبيّة والنفسيّة صدقاً كبيراً (الآداب ١٢/ ٥٧).

فتأمَّل هذه الأحكام الفضفاضة، والعبارات المجاملة!

٣ ـ تخلُّف الكتّاب المكلّفين عن تنفيذ ما وعدوا به في اللّحظة الأخيرة. فلا تكاد سنةٌ تمرّ دون أن يطلع علينا قلمُ التحرير في مُرَبَّع أو مستطيل في زاوية الصفحة اليسرى أو وسطها ليعتذر عن تخلُّف ناقد عن نقد أبحاث العدد الماضي من **الآداب** أو قصصه أو قصائده؛ ولطالما عمد سهيل إدريس أو عائدة مطرجي إدريس إلى أن يسدّا فراغ ذلك النّاقد المتخلِّف (حقّاً!) فيكلِّفا نفسيْهما بالنَّقد المطلوب.

٤ ـ حاول صاحب **الآداب** أن يتفادى المصاعبَ المتزايدة التي ينصبها هذا الباب في وجهه كلّ شهر، ولاسيَّما بعد أن اتَّضح له أنَّ النقّاد المكلَّفين تتكرَّر أسماؤهم دائماً، وبعد أن أوصدتْ نازك الملائكة بابَ «منبر النقد» المتفرِّع من باب «قرأت العدد الماضي» بعد أعدادٍ قليلة من افتتاحها إيّاه. فغامر سهيل إدريس ذات شباط من عام ١٩٦١ وأعلن أنّه سيترك مهمّة تحرير هذا الباب العويص للقرّاء أنفسهم، متوقِّفاً عن تكليف أيّ أديبٍ به، على أن يدفع لكلِّ قارئ ما كان يدفعه للنقّاد المكلَّفين.

وفي العدد التالي تلقّى صاحب **الآداب** اثنتين وثلاثين دراسة عن موادّ العدد الماضي، كلُّها في نقد القصائد والقصص، فاختار منها ثلاثاً. لكنَّ صاحب **الآداب** مالبث أن أقلع عن مغامرته (**الآداب** ٥/ ٦١) «لأنَّ المستوى المطلوب لم يكن متوفّراً على حدِّ قوله». غير أنَّه أردف أنَّه «لن يغلق الباب على أيّ قارئ يودّ أن يشارك في تحريره».

واليوم أرى أنَّ مثلَ هذا المزج هو أفضل حلّ لهذا الباب. فهو يوسِّع من دائرة النّقد خارج إطاره الأكاديميّ الضيِّق؛ وهو يزيل حرجَ هيئة تحرير **الآداب** حين يتخلَّف النّاقدُ المكلَّف عن مهمّته؛ وهو يوفِّر على **الآداب** بعضَ المال، مخفِّفاً بذلك عنها شيئاً من خسارتها الماليّة المتزايدة.

ومع ذلك فأنا مازلتُ أرى أنَّ هذا الباب لن يرى النُّور بصيغة مستمرّة. وقصاراي أن أعمل على تأمينه ثلاث مرّات في السّنة... إلى أن تتحسَّن أوضاعُ الأسواق العربيّة وتنفتح **الآداب** من جديد أمام القرّاء العرب الذين لم يرَ كثيرٌ منهم المجلّة طوال أكثر من ثلاثةِ أعوام.

(هـ) الأعداد والملفّات الخاصّة. لعلَّكم لاحظتم أنَّ **الآداب**، منذ تسلَّمتُ إدارة تحريرها، عُنيت عنايةً خاصّة بالأعداد الخاصّة. فأصدرنا أعداداً أو ملفّاتٍ خاصّة بالمؤتمر الثاني للكتّاب اللبنانيّين، وخليل خاوي، وثورة يوليو ٥٢ بعد مرور أربعين عاماً على اندلاعها، وغسّان كنفاني، والمرأة العربيّة والإبداع، وغالب هلسا، ونازك الملائكة، ونعوم تشومسكي، وموقف المثقّفين المعارضين لاتفاقيّة غزّة/ أريحا، وإدوارد سعيد. ونحن نَعِدُ قرّاءنا بأن نصدر قبل نهاية هذا العام وفي مطلع العام التالي أعداداً خاصّة تتناول الأدب العراقي الحديث، والأدب المغربي الحديث، والقصّة القصيرة في تونس، وملفّ جبرا إبراهيم جبرا وكورنلّ وست.

ونحن نعمل على إصدار عددٍ خاصّ مناهض للسلام والتّطبيع مع العدوّ الصهيوني، وآخرَ عن بدر شاكر السيّاب بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على غيابه، وثالث عن حنّا مينة، ورابع عن سعد الله ونّوس، وخامس عن عبد الرحمن منيف.

وإلى جانب الملفّات الخاصّة، نولي عناية فائقة إجراء حوارات شاملة مع المثقّفين العرب. وقد قدَّمنا في العاميْن الماضييْن حوارات طويلة (بلغ بعضُها حوالي عشرين صفحة من صفحات **الآداب**) مع عزّ الدين المناصرة وإلياس خوري وعبد الوهاب البياتي ويمنى العيد ويحيى حقّي ولطيفة الزيّات.

IV المشاكل

* * *

بودّي أن أخبركم عن بعض المصاعب التي تواجهها مجلّة **الآداب** في كلِّ عددٍ من أعدادها:

أ) الرّقابة العربيّة .....

.....

.....

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . (*)

ب) إغلاق الحدود في وجه الآداب. منذ أكثر من عامين،

كيف نبقى مجلّة «عربيّة» ونحنُ نُمنع من دخول أكثر الأقطار العربيّة؟

توقّفت **الآداب** عن دخول أكثر الأسواق التي تُشتهر بحبّ الاطّلاع عليها. فالعراق قد أُغلق في وجهنا بعد العدوان الأمريكي، ثمّ أُغلقتْ ليبيا في وجهنا أيضاً بعد الحصار الدولي، وتوقّفنا عن إرسال المجلّة لأنّ فرع «الدّار الجماهيريّة» في قبرص لم يسدِّد حقوقنا حتّى الآن. وضُرِبَتْ سوقُ مجلّة **الآداب** في الجزائر واليمن بسبب الحروب الداخليّة المؤسفة. فكيف نبقى مجلّة أدبيّة عربيّة مستقلّة، ونحنُ نُمنع من دخول أكثر الأقطار العربيّة أو تحوُّل ظروفٌ عسكريّة ظالمة دون دخولنا إليها؟

ج) المجلّات النظاميّة العربيّة. لقد اشترتْ هذه المجلّات أكثر من كانوا يكتبون في **الآداب**، ثمّ زيّنت صفحاتها بالرسوم والألوان، وباعت كُلّ عدد من أعدادها بنصف السّعر الذي نبيع به **الآداب** رغم أنّ كلفة **الآداب** تبلغ ضعفي السّعر الموجود على غلافها. فإلى متى نستطيع أن نتحمّل خسائرنا الماليّة في وجه المجلّات النظاميّة؟ وإلى متى نقنع باشتراكاتنا الهزيلة؟

* * *

V نداء

ولا أحبّ أن أودِّعكم قبل أن أتوجّه إليكم، يا كتّاب **الآداب** القدامى ويا كتّابها وقرّاءَها الحاليّين، بأن تحموا **الآداب** من السقوط بكلّ ما ملكت أيديكم وصدورُكم وعقولُكم وحناجرُكم. اطلبوا من وزارات إعلامكم أن تسمح للمجلّة بالدخول. اشتركوا في المجلّة. طالبوا جامعاتِكم ومعاهدَكم باقتناء مجموعتها الكاملة. قدِّموا المجلّةَ هديّةً لعزيز أو حبيبة. علِّقوا أغلفتها نصفَ الملوّنة على جدران بيوتكم. أحرقوها وتدفّأوا بها في ليالي الشتاء القاسية. لكنْ... إيّاكم أن تهملوها إلاّ إذا ارتضيْتُم أن تُذِلُّوا أنفسكم للقمع والقحط العربي.

(*) في الكلمة التي ألقيتُها في عمّان، ذكرتُ ما يمكن أن يكون سببَ منع مجلّتنا من دخول الأقطار العربيّة التي عددتُ أربعة منها. ومن المخجلِ أن أجد نفسي ـ أمام إلحاح بعض الأصدقاء الحريصين على أن ينعم قرّاءُ **الآداب** في هذه الأقطار بتكريم مجلّتهم، وعلى رأس هؤلاء الأصدقاء الشّاعر أحمد دحبور ـ أقول: من المخجل أن أجد نفسي ههنا أُمارسُ نوعاً مقيتاً من الرّقابة الذاتيّة، فأحذف كُلَّ ما جاء في حديثي تحت هذا العنوان!

غير أنَّ أهمَّ ما أُطالبكم به، بصفتي واحداً من كتّاب جيل **الآداب** الجديد، ليسَ مقالاتِكم أو اشتراكاتكم على أهمّيّتها البالغة. بل أُطالبكم، باسم جيلي الذي يقاوم وهو عند شفير الهاوية، بأن تكونوا مسؤولين عن القيم الثقافيّة والسياسيّة التي دافعتم عنها طوال حياتكم. كتب رئيف خوري: «الأديب ليس مسؤولاً عن تعبيرٍ بليغ أو تصوير رائع... بل إنّه مطالَبٌ بالوفاءِ لقيمٍ يَدينُ بها... وحين يختارُ أن يصبح لامسؤولاً فإنّه يؤذي القيم بقدر ما يؤذي نفسه وأدبه».

الأديب مطالَبٌ اليوم بالوفاء لقيم وثوابت قوميّة وأخلاقيّة، أهمّها مواجهة القمع والاحتلال والتّطبيع.

فإلى جانب الوفاء للكلمة الجميلة والإبداع المخلص، فأنتم مطالَبون اليوم في عين شبابنا القوميّ بالوفاء لثوابت قوميّة وأخلاقيّة لا يجوز أن نتخلّى عنها. جيلنا الجديد تعلّم العدالة الاجتماعيّة منك يا عبد الوهاب البياتي ومنك يا حنّا مينة... وعشقنا فلسطين وآمنّا بها قضيّةً لن نتخلّى عنها حتّى تحريرها كاملةً، من كتاباتِكم يا إلياس خوري ويحيى يخلف وعزّ الدّين المناصرة وأحمد دحبور... وآمنّا بضرورة مقاومة التّطبيع مع عدوِّنا إسرائيل بسبب ميثاقك يا علي عقلة عرسان، وبياناتك المتلاحقة يا فخري قعوار... ثمّ كرهنا كمّ الأفواه وتشبَّثْنا بالديموقراطيّة وحرّيّة التّعبير من رواياتكما يا مؤنس الرزّاز ونبيل سليمان ومن مقالاتكما يا واسيني الأعرج وسهيل إدريس... فلا تتخلّوا عنّا في هذه اللحظات التي تعاني منها أُمَّتُكم/ أُمَّتكم ما يشبه النّزعَ الأخير، بل أشهروا أقلامكم ـ كما شهرتموها دوماً ـ سلاحاً في وجه القمع والإرهاب السلطوي والخارجي، وفي وجه الصهيونيّة والتّطبيع معها في شتّى المناحي الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، ومن أجل دحر الاحتلال الأمريكي الغاشم عن العراق الشقيق، وتعزيز الوحدة الوطنيّة في الجزائر واليمن ولبنان...

أيّها الأصدقاء، يا كتّاب **الآداب** القدامى، ويا كتّابها الحاليّين...

الآداب هي جداركم الأوّل.

والآداب هي جداركم الأخير.

فلا تسقطوه!

بيروت/ عمّان ٢٤ـ٢٩ تموز ١٩٩٤